

الرؤية الطبية

Superior vena Cave : لجبل الوريد

د. أنس عزقول *

اجتهد المفسرون لبيان المعانى التى اشتملت عليها آيات القرا الكريم فكان هناك إجماع على نفس المظاهر فى الكثير مما ورد بآيات الله تعالى إلا أنهم فسروا بعضاً منها بطرق مختلفة. وإن كان مؤداها فى أغلب الأحيان واحداً.

صراط مستقيم قويم.

وهكذا تكون الآيات فى القرآن العظيم مبيّنات لفهم معانى آيات آخر، أى أن القرآن يفسر بعضه بعضاً.

وقد لا تذكر الأشياء فى القرآن بإسمها المعروف، وتذكر بصفاتها. فتكتسب الآيات صفات تحولها إلى مشاهد حية، «فألرياح»، وصفت «بالزاريات»، والحاملات والجاريات والمقسمات، وذلك فى سورة الزاريات قال تعالى: (والذاريات ذروا * فالحاملات وقرا * فالجاريات يسرا * فالمقسمات أمرا) (٣).

وقد تساءلتُ عن سر هذا الاختلاف فى فهم آيات بينات، فقرأت قول الله تعالى فى سورة العنكبوت (بل هو آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم وما يجحد بآياتنا إلا الظالمون) (١). أى أنه كلما أوتينا من العلم تبينتنا لنا معانى هذه الآيات. وقد دعانى هذا إلى تأمل آية أخرى من سورة النور قال تعالى:

(لقد أنزلنا آيات مبينات والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم) (٢) إذ نبين هنا أن آيات القرآن مبيّنات ترشد الإنسانية إلى

* استشارى الأمراض الباطنية، وأخصائى القلب، والأوعية الدموية.

(١) العنكبوت : آية (٤٩) .

(٢) النور : آية (٤٦) .

(٣) الذاريات : الآيات : ١ ، ٢ ، ٣ .

العماد * التي لم يخلق مثلها في البلاد *
وتمود الذين جابوا الصخر بالواد * وفرعون
ذى الأوتاد(٢).

وقد فُسِّرَت الأوتاد في كثير من كتب
التفسير على أنها إشارة إلى كثرة جند
فرعون. لأنهم كانوا يكثرّون الخيام التي
يثبتونها بالأوتاد التي تدق في الأرض. إلا
أنه بمراجعة قراءة الآيات نجد أنها جميعاً
تتحدث عن حضارات سابقة فلم لا يكون
معنى الأوتاد إشارة للأهرام التي أنشأها
الفراعنة. لأن الله سبحانه وتعالى يقول في
سورة النبا: والجال أوتادا؛ فأرم شيّد
العماد، وتمدّد شقوا الطرق وأنشأوا
القصور في الصخور، والفراعنة شيّدوا
الأهرام. فالأهرام إحدى عجائب الدنيا
وتقف شامخة كالجبال.

(٢)

تواردت إلى ذهني كل هذه المعاني
حينما حاولت فهم بعض آيات الكتاب
العزیز، وحينما قرأت الآيات الكريمة الآتية
قال تعالى: (ولقد خلقنا الإنسان ونعلم
ماتوسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من
حبل الوريد * إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين
وعن الشمال قعيد * ما يلفظ من قول إلا
لديه رقيب عتيد)(١).

فالرياح تنور المياه من سطح البحار
والمحيطات والبحيرات والأنهار لتتكون من
ذراتها السحاب الثقال، وتجري به في سر
متقسمة، ليسقط مطراً حيثما شاء الله
تعالى.

وقد ذكر المطر .. بلفظ الرجع، والنبات
بلفظ الصدع في سورة الطارق، يبدأ المطر
من الأرض كذرات من الماء ترفعها الرياح
متبخرة إلى أعلى مكونة السحاب الذي
يسقط راجعاً إلى الأرض أمطاراً . فالرجع
هو صفة المطر الذي يرجع، والنبات يشق
الأرض أى يصدعها فهو الصدع. قال
تعالى: (والسماء ذات الرجع * والأرض ذات
الصدع * إنه لقول فصل، وما هو
بالهزل)(١)

كما ذكرت كلمة الرجع بمعنى آخر في
نفس السورة حيث تعني البعث، أو إعادة
الحياة بعد الموت. قال تعالى: (أنه على
رجعه لقادر * يوم تبلى السرائر)(٢)

فالكلمة الواحدة بناء على هذا قد تذكر
بصفات، وقد تحمل معاني كثيرة يبينها لنا
المفهوم الكلى للآيات، أو آيات أخرى
مبينات.

ونقرأ آيات من سورة الفجر قال تعالى:
(ألم تر كيف فعل ربك بعاد * إرم ذات

(١) الطارق : (١١ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٤) .

(٢) الطارق : (٨ ، ٩) .

(٣) الفجر : (٦ - ١٠) .

(٤) ق الآيات : (١٦ - ١٨) .

يكون حبل الوريد هذا قريباً جداً إلى الإنسان، بل إن الآية الكريمة تعنى أنه الأقرب إلى الإنسان حتى يقول لنا الله تعالى، ونحن أقرب إليك أيها الإنسان من حبل الوريد .

تذكرت قول الله جل وعلا فى سورة القيامة (أيحسب الإنسان أن لن نجعل عظامه* بلى قادرين على أن نسوى بنانه)(١).

والبنان: أطراف الأصابع، واحدة بنانة.(٢)، ولا شك أن كل شيء خلقه الله فى جسد الإنسان معجز، إلا أن الله تعالى أراد أن يبين لنا إعجازاً كبيراً فى بنان الإنسان فالبنانة تحتوى على البصمة Finger print، التى تحمل الصفة الخاصة بكل إنسان، والتى لا يتطابق فيها فردان على وجه الأرض. أى أن الآية الكريمة تعنى أن الله تعالى سيعيد الإنسان بكامل صفاته مهما كانت دقيقة ومميزة، وعندما نفهم معنى الآية هكذا يتبين لنا مدى قوة هذا اللفظ البسيط الذى يبدو ككلمة بسيطة، إلا أنها فى الحقيقة تحمل سرّاً عظيماً وتعطى الآية قدراً غير محدود من الإعجاز .

وهنا نتساءل : ما هو الإعجاز الموجود فى حبل الوريد؟، ولماذا اعتبره القرآن فى الآيات السابقة الأقرب إلى الإنسان؟ لابد

شرح المفسرون الآية (ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد). واتفقوا على أن حبل الوريد : حسب ما كان معروفاً عند العرب وحسبما ذكر فى مختار الصحاح أنه (عرق كبير فى مقدمة العنق). «مختار الصحاح» المعجم المؤلف على الأرجح سنة ٦٦٠هـ. فكرت فى الرجوع إلى كتب علم التشريح، بل إن علم التشريح Anatomg لم يكن معروفاً عند العرب وقت نزول القرآن. وقد تتغير المصطلحات والأسماء بمرور الزمن. ولهذا فإن آيات القرآن قد تعتمد أحيانا على ذكر الصفات دون الأسماء كما سبق وأسلفنا عن الرياح والمطر والنبات والجمال. عدت إلى الآية الكريمة مرة أخرى ونظرت إلى المعنى الذى تحمله كلمة «وريد» وتبادر إلى ذهنى أننا نقول ورد إلينا النبأ التالى . أى جاعاً.. فكلمة ورد إلينا تعنى حضر إلينا أو جاعاً إذن فالوريد هو الدم الوارد .

وشعرت أننى خطوت خطوة إلى الإمام حين تذكرت أننا نقول: «ورد الوارد فهو وريد». إذن فالوريد هنا هو الدم الذى يرد إلى القلب. وحبل الوريد هو الوعاء الذى يحمله .. ولكن ما هو السر فى حبل الوريد .. لماذا قال المولى جل وعلا .. «ونحن أقرب إليه من حبل الوريد». (أى أنه تعالى أقرب إلى الإنسان من حبل الوريد) . لابد وأن

(١) القيامة : ٤ . ٣ .

(٢) المعجم الوجيز ص ٦٣ .

فإنك حينما تحفظ شيئاً - تراه أو تسمعه. يمكنك استرجاعه. بل إن المخ هو الذى يرسل الإشارات إلى اللسان فتجعله يلفظ ما يلفظ من كلمات .

يعود الدم من المخ فى حبل الوريد بعد أن مر خلال نسجته وشارك فى امداده بالمواد اللازمة لإتمام التسجيل والتفكير إلى القلب ماراً بالعنق . فكم هو قريب (حبل الوريد) من هذا السجل العظيم، وكم هو قريب منك أيها الإنسان. لكن الله أقرب . فما تلفظ من قول إلا لديك رقيب عتيد، أى ملك قوى يسجل ما تنطق من واقع سجلك (المخ) قبل أن يعود الدم الذى مر خلاله فى حبل الوريد . فالمتلقيان (نصفا كرة المخ) القابعان داخل عظام الرأس بلا حراك تحت قبضة ملك قوى ووساوس النفس التى تدور بها لا تخفى على الله تعالى، وما تنطق من شيء إلا تلقاه المتلقيان (نصفا كرة المخ)، وسجله عليك من خلالهما ملك رقيب عتيد. وإذا كان حبل الوريد يحمل الدم العائد من المخ بعد أن أمدته بالمواد اللازمة لإتمام التفكير والتسجيل - فكم هو قريب منك أيها الإنسان - إلا أن الله أقرب، فملائكته تسجل من المخ كل شيء، قال تعالى: (إن كل نفس لآ عليها حافظ)(١)

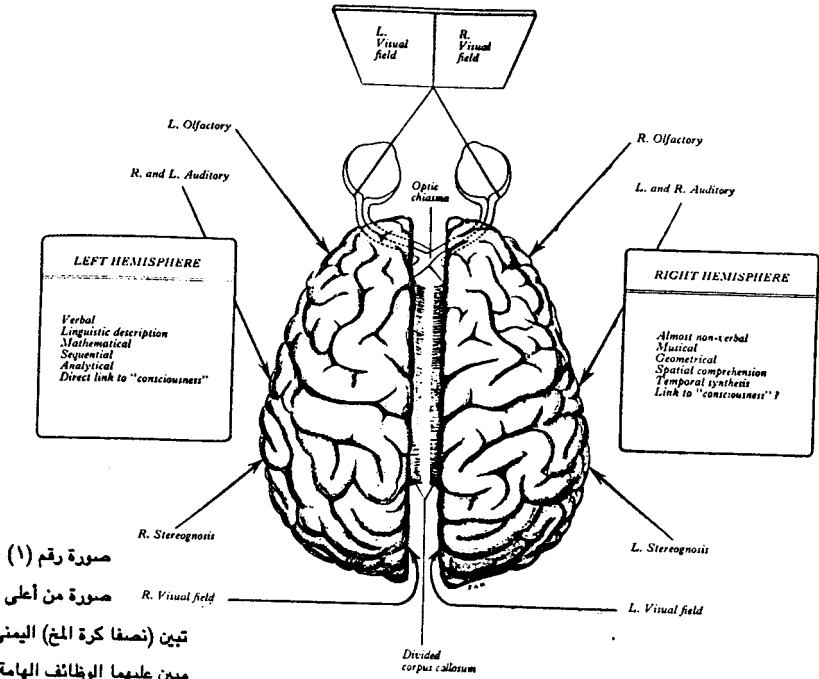
(وإن عليكم لحافظين * كراماً كاتبين * يعلمون ما تفعلون)(٢) .

أن هناك سرّاً كبيراً. أعدت قراءة الآيات : (ونحن أقرب إليه من حبل الوريد * إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد).

وعلى هذا فهناك المتلقيان عن اليمين وعن الشمال ولا يتحركان مطلقاً بل ولا يستطيعان الحركة . انظر إلى كلمة (قعيد). ثم قرأت (إلا لديه رقيب عتيد)، والرقيب هنا مفرد. تذكرت بعض المبادئ الأساسية فى علم التشريح، وعلم وظائف الأعضاء. فعظام الرأس تحتوى على «المخ» وهناك جزءان أساسيان فيه هما نصفا الكرة المخيتان (أو نصفا كرة المخ) cerebral Hemispheres، وهما يقعان عن اليمين وعن الشمال ومتصلتان ببعضهما اتصالاً بسيطاً من المنتصف، وعلى سطحيهما طبقة تسمى الطبقة القشرية، وهى تحمل كافة المعلومات التى يكتسبها الإنسان ويسجل بها كل ما يدركه بحواسه سواء ما يراه، أو ما يسمعه، بل حركاته وسكناته وما يحيط به وهذه الطبقة هى المسئولة عن التفكير والتدبير، وعما يجول بخاطرهم من هواجس حتى وإن لم تخرج إلى حيز التنفيذ، ثم ما ينطقه. «سجل ضخيم». أدق وأروع من أى جهاز تسجيل . فإى جهاز للتسجيل يسجل كل هذه الأشياء شاملة كافة الأحاسيس ؟

(١) الطارق : آية ٤ .

(٢) الانقطار : الآيات : ١٠ - ١٢ .



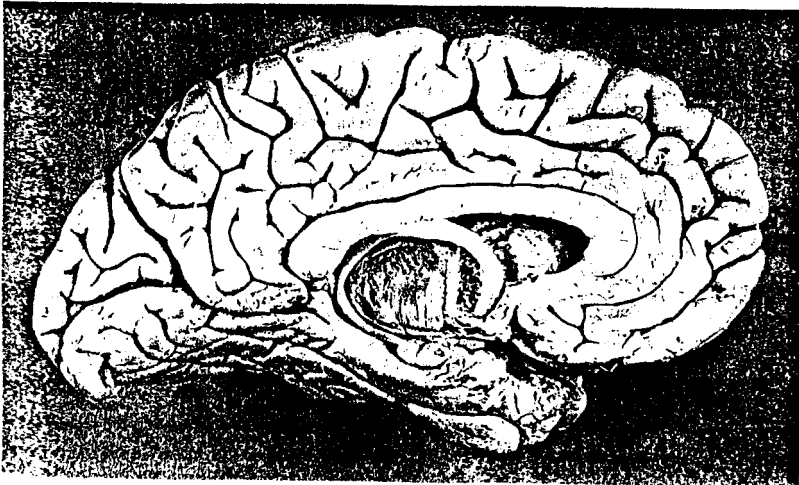
صورة رقم (١)

صورة من أعلى

تبين (نصف كرة المخ) اليميني واليسرى

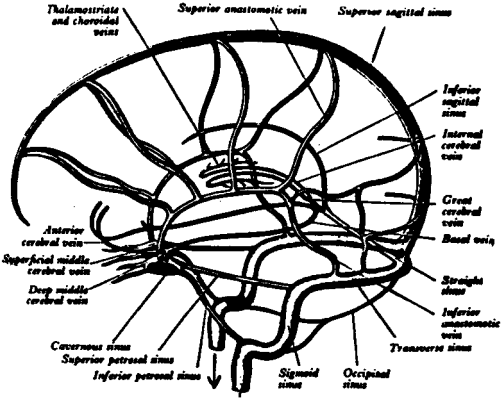
مبين عليهما الوظائف الهامة لكل منهما

من الأمام انظر اتصال العينين بالمخ عن طريق عصبى العينين.



صورة رقم (٢)

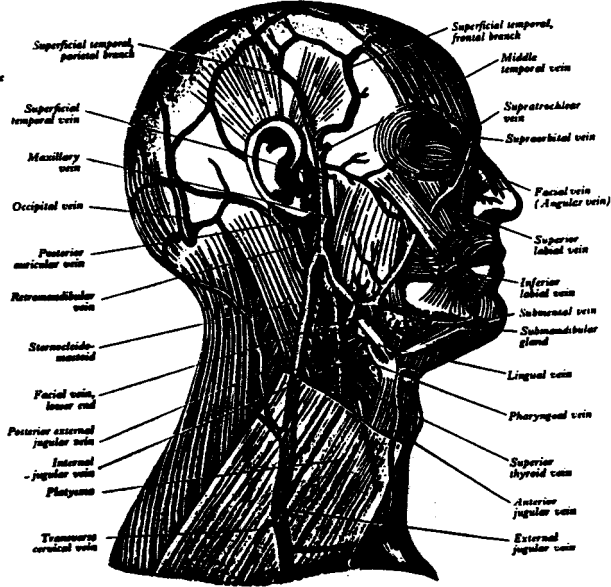
السطح الداخلى لنصفى كرة المخ اليسرى عند اتصالهما بالنصف الأيمن



صورة رقم (٤)

الوعاء الوريدي الأيمن، ويجمع الدم العائد من المخ من جهة اليمين.

صورة رقم (٣)
شبكة الأوردة التي تجمع الدم من المخ لتعبر به في وعامين كبيرين
في العنق يصبان في وعاء رئيسي كبير يصب في القلب



صورة رقم (٥)

وعاء وريدي أيمن وعاء وريدي أيسر

حبل الوريد الرئيسي — يصب الدم في القلب مباشرة

يتجمع الدم من أوردة المخ (صورة رقم ٣)، ليصب في وعامين كبيرين في العنق: أيمن
وأيسر. Internal Jugular veins ينتهيان في وعاء كبير واحد = Superior vena cava
حبل الوريد، الذي يصب في القلب مباشرة)، وقد يطلق مصطلح حبل الوريد، على جميع
الأوعية، التي تعبر من المخ إلى العنق، ثم القلب.

